انتشار الديانة المسيحية في إفريقيا
خلال الاحتلال الروماني وموقف السلطة الرومانية منها

أ/ بن عطا الله عبد الرحمان ـ جامعة تبسة ـ

ملخص:

إفريقيا أو إفريقيا الرومانية هي مقاطعة رومانية قديما خضعت للاحتلال الروماني منذ القرن الأول قبل الميلاد وهي تشمل ما يعرف حاليا بالمغرب وتونس وجزء كبير من الجزائر وليبيا الحالية.

وبعد الاحتلال الروماني قسمت المنطقة إلى مقاطعات إدارية في بداية الأمر إلى إفريقيا القديمة وإفريقيا الجديدة ثم في عهد الإمبراطور دوقلديان قسمت إلى ثلاث مقاطعات وهي: البروقنصلية والطرابلسية ومقاطعة البيزانس. وقد انتشرت الديانة المسيحية في هذه المنطقة في وقت مبكر يعود إلى القرن الأول الميلادي ودخل الأمازيغ فيها بقوة اعتقاد منهم أنها تخلصهم من الظلم، لكن الإمبراطورية الرومانية رفضت انتشارها وقابلتها بإجراءات كثيرة ضد المسيحيين مما أدى إلى صراع طويل بين المسيحيين والسلطة الرومانية.

Résumé

L’Afrique ou Afrique romaine, est une ancienne province romaine qui correspond à l'actuelle Maroc et Tunisie, plus une partie de l'Algérie et la Libye actuelle.

Cette province, qui est issue de la réunion de l’*Africa Vetus* et de l’*Africa Nova*, est divisée par Dioclétien en trois: la Tripolitaine, la Byzacène et l'Afrique proconsulaire résiduelle, aussi appelée *Zeugitane.*

La propagation de christianisme en Afrique Roumanie au cours du premier siècle après JC Et est entré dans les Amazighs croyant fermement qu'il va guérir l'injustice, Mais l'Etat roumain a refusé au christianisme au début et chrétiens persécutés, Ce qui a conduit à un long conflit entre l'Etat et les chrétiens roumains.

مقدمة

أثبتت الدراسات أن منطقة شمال إفريقيا من المناطق الباكرة التي انتشرت فيها الديانة المسيحية فحسب المعطيات المتوفرة من خلال كتب القديسين الأفارقة الأوائل من أمثال ترتيليان وكبريانوس فإن دخول المسيحية كان سابقا للقرن الثاني الميلادي، فرغم عدم توفر معطى زمني محدد لدخولها، إلا أنه يكفي أن نعتمد على كتابات القديسين المذكورين للقول أن البدايات الأولى للمسيحية في شمال إفريقيا. كانت خلال القرن الأول الميلادي[1]،فإشارات ترتليان في كتبه سنة 197م التي توحي بتجذر الديانة المسيحية في القرى والمدن والضيعات والجزر والمعسكرات [2]والمقابر، وهذا التجذر الواضح خلال نهاية القرن الثاني الميلادي لابد أن يكون له مقدمات سابقة ترجع للقرن الأول الميلادي وهنا لا نتوقف عند القول أن الديانة المسيحية انتشرت في الشمال الإفريقي فقط نهاية القرن الثاني، نظرا لاعتمادنا على هذه المصادر[3]. ومن الأدلة التي نعتمد عليها في الانتشار الباكر للديانة المسيحية في شمال افريقيا هو وجود رجال دين كبار ومفكرين مسيحيين معتبرين كالقديس ترتليان(القرن الثاني الميلادي) الذي أسس أول كنيسة في شمال افريقيا وهي كنيسة " قرطاج" وصاحب مؤلفات كثيرة أبرزها " الدفاع عن المسيحية"[4].ومنهم كبريانوس أسقف كنيسة قرطاج عاش في القرن الثالث الميلادي ولعب دور كبير في الفكر المسيحي بالنظر إلى الكتب الكثيرة التي خلفها والتي من أبرزها: " حياة كبريانوس"، "الشماس بونتيوس"، "الكنيسة الكاثوليكية الموحدة"، "إلى دوناتوس"[5] .

كما يمكن أن نستدل على الانتشار الكبير للديانة المسيحية في إفريقيا هو العمق الذي خلقته في المدن والأرياف ففي نهاية القرن الثاني الميلادي نجد أن الديانة المسيحية انتشرت في كامل إفريقيا البروقنصلية (تونس حاليا) وجزء كبير من نوميديا حتى أصبح أغلب[6] ساكنتها تدين بها والدليل هو اجتماع عقده سبعين أسقف من المقاطعتين مع أغريبونوس أسقف قرطاج[7]. وفي نفس الفترة عقد اجتماع بالمقاطعة ضم تسعين أسقفا برعايةأسقف لامباز (Lambèse)برفاتوس (Privatus)[8]

أما في منتصف القرن الثالث الميلادي نجد أن الديانة المسيحية انتشرت بشكل كبير وظاهر فالاجتماعات الكنسية وعدد الأساقفة يثبت ذلك ففي سنة 252م اجتمع في إفريقيا ستة وستون أسقف وسنة 253م اجتمع واحد وأربعون أسقف وفي سنة 254م اجتمع ستة وثلاثون أسقف وسنة 255م اجتمع اثنا

وثلاثون أسقف وفي سنة 256م اجتمع واحد وسبعين أسقف ومن خلال مراسلات كبريانوس فقط خلال منتصف القرن الثالث الميلادي يمكن تحديد مئة وثلاثون أسقفا في إفريقيا مما يؤكد قوة ومدى انتشار المسيحية في بلاد المغرب القديم[9].

ويؤدي الحديث عن زمن انتشار الديانة المسيحية في شمال إفريقيا إلى الحديث عن المدن الأولى التي انتشرت بها، فالبداية كانت قرطاج باعتبار أنها كانت من أهم الحواضر التجارية والفكرية خلال تلك الفترة، ثم أيضا انتشرت بحضرموت (سوسة حاليا) وكذلك في المدن النوميدية مثل تاغورة (Thagura) ومادور (Madaure) وحتى سيرتا وكويكول (Cuicul)، (جميلة) حالياوحتى تبسة وتيمقاد وهيبون وروسيكادا وطرابلس كانت تضم أربع كنائس أسقفية[10]. وقد تعرض المسيحيين في شمال افريقيا خلال العصور الاولى من انتشارها إلى اضطهادات من طرف كل من الوثنيين والسلطة الرومانية مما أدى إلى استشهاد الكثير منهم[11]، ولم يتحرر المسيحيون من هذه الاضرابات إلا بعد أن أصدر الامبراطور قسطنطين مرسومه الشهير (ميلان) عام 313م والذي أعطى حرية لهم في ممارسة طقوسهم واجتماعاتهم دون مراقبة، وكان من نتائج هذا المرسوم الذي هو بمثابة اعتراف بالديانة المسيحية أنه خلال القرن الرابع الميلادي أصبح أكثر من نصف سكان إفريقيا مسيحيون وحتى عدد الأسقفيات ارتفع فإذا كان يبلغ مائتين وخمسين سنة 300م ليبلغ ستمائة وخمسون في بداية القرن الخامس الميلادي[12].

1- موقف الإمبراطورية الرومانية من انتشار الديانة المسيحية في إفريقيا:

إن الانتشار السريع للديانة المسيحية في شمال إفريقيا لم يرقى لرضى الإمبراطورية الرومانية التي رأت في هذا الدين الجديد تهديد لمكانتها ومكانة أباطرتها المقدسين بالخصوص فاعتبروا الدخول فيها تمردا عن سلطة الدولة، فشنت ضدهم موجة من الاضطهاد الممنهج والعنيفة بدءا من عصر الإمبراطور نيرون سنة 64م[13] رغم أن المسيحيين لم يخالفوا قوانين الدولة وكانوا يدفعون الضرائب بشكل عادي مثل غيرهم من السكان ولم ينادوا بسقوط الإمبراطورية أو أعلنوا العداء لها ولم يكن أمر تمردهم عن الإمبراطور إلا حساسية ظهرت في الإدارة الإمبراطورية [14] وقد وصل الأمر في بداية اضطهاد المسيحيين خلال القرن الأول الميلادي بالإمبراطور نيرون إلى إحراق مدينة روما واتهام المسيحيين بإحراقها حتى يكون مبررا للقضاء عليهم وقد صور المؤرخ الروماني تاسيت جزء من معاناتهم عندما أمر نيرون بإعادة بناء المدينة أمر باضطهاد كل مسيحي لتسببهم في هذا الحرق[15].

أما في عهد الإمبراطور تراجان خفت عملية مواجهة المسيحيين وتوقفت عملية موافقتهم، بل يعاقبوا فقط إذا وشي بهم ويسامحوا إذا تراجعوا عن مسيحيتهم[16] وقد شمل هذا الإجراء من قبل الإمبراطور تراجان حتى الولايات الإفريقية فجاء في النصوص أن الحاكم سينكيوس سفيريوس (Cincius Severus) حاكم منطقة تسدروس (Thysdrus) بالقرب من الجم حاليا والقاضي فيسبرونيوس كنديدوس (Vespronius Condidus) قدما بعض التسهيلات للمسيحيين أثناء محاكمتهم بمحاولة تبرئتهم عمدا وتحويل محاكمتهم إلى محاكمة صورية، ويبدو أن ذلك ما هو إلا شفقة في وجه المسيحيين إذ أن الإدارة الإمبراطورية لم تصدر أي قرارات أو مراسيم تعطي للقناصل والقضاة بتخفيف الأحكام الصادرة بحق المسيحيين أو محاولة تبرئتهم[17] أخطر وأعنف الاضطهادات التي عرفتها الإمبراطورية الرومانية كانت في عهد الإمبراطورين داكيوس (Decius) سنة 250م ودقلديانوس (Diocletian) عام 303م[18]، فالاضطهاد الذي حل بالمسيحيين في عهد الإمبراطور داكيوس أدى إلى استشهاد أسقف مدينة روما العام فابيانوس الثاني (Fabianos 2)[19] ومن قسوة العنف الذي أمر به هذا الإمبراطور نجد كثير من المسيحيين في روما ومقاطعاتها تراجعوا عن الديانة المسيحية حتى أن بعضهم تحمل العذاب أياما كثيرة قبل أن يتراجع عن دينه نتيجة عدم تحمله[20].

أما اضطهاد الإمبراطور دقلديانوس (284–305م) فهو الاضطهاد العاشر وهو معروف في تاريخ الكنيسة بأنه أخطر وأعنف اضطهاد على الإطلاق، وقد أشرك معه سنة 286م مكسميوس ليكون إمبراطور في الشرق وليتحكم أكثر في انتشار المسيحية شرقا وغربا[21] وقد بدأت الحملة العنيفة للإمبراطور دقلديانوس عام 303م ضد المسيحيين وذلك بإصدار أوامر بهدم كل الكنائس المسيحية وإحراق كتبهم واعتبار المسيحيين خارجين عن قانون لإمبراطورية الرومانية وبالتالي وجب معاقبتهم، وحتى العاملين في الجيش الروماني المعتنقون للديانة المسيحية وجب إعدامهم بدعوى أن الرب لم يقبل ذبيحته بسبب وجود بعض من جنوده مسيحيون أفشلوا احتفاله مع الإله[22].

وبموت الإمبراطور دقلديانوس انتهى عصر الاضطهاد المسيحي بفصوله العشر حيث أن اعتلاء الإمبراطور قسطنطين العرش حل السلام بمرسومه "ميلان" الذي سمح للديانة المسيحية بممارسة نشاطها بكل حرية[23].

مخطط يبين الاضطهادات العشر للمسيحيين

1- اضطهاد نيرون 66-68م

2- اضطهاد دوميسيان 95م

3- اضطهاد تراجان 107م

4- اضطهاد ماركس أورليوس 164-177م

5- اضطهاد سبتيميوس سيفيريوس 199-204م

6- اضطهاد ماكسيميان 235م

7- اضطهاد داكيوس 250م

8- اضطهاد فاليريان 257-258م

9- اضطهاد أورليان273-275م

10- اضطهاد دقلديانوس وماكسميانوس 303-313م[24]

وقد توقفت الاضطهاد بعد إصدار الإمبراطور قسطنطين مرسوم ميلان الذي أعلن فيه حرية ممارسة الشعائر المسيحية مما أدى إلى خروج الديانة المسيحية إلى العلن[25]

2- **الجيش الروماني في إفريقيا والديانة عشية ظهور الديانة المسيحية:** يعتبر الجيش أحد أهم المؤسسات في العصر الإمبراطوري، وقبل ظهور الديانة المسيحية كان تقليد عبادة وتقديس الإمبراطور أمرا مسلما في الجيش الروماني وهو معيار للانضباطية في الجيش وتقام احتفالات سنوية لتخليد ظاهرة عبادة الإمبراطور [26]

3- **الجيش الروماني في إفريقيا وانتشار المسيحية في صفوفه:** مثل انتشار المسيحية في القرون الأولى للميلاد بين سكان الإمبراطورية الرومانية خطرا على هذه الإمبراطورية، مما يعني أن انتشارها بين صفوف الجيش خطر أكبر من ذللك وبالفعل تمكنت هذه الديانة الجديدة من اختراق صفوف الجيش الروماني بإفريقيا، وهو ما فسر على أنه تمرد عن الجيش بالنسبة إلى أي جندي اعتنق الديانة المسيحية مهما كانت رتبته وأنه خلق لفوضى داخل مؤسسة الجيش مما أدى بإدارة الجيش إلى اختيار كل المعتنقين للديانة المسيحية بالتراجع عنها أو الانعدام[27]ومن أمثلة من اعتنقوا الديانة المسيحية وتعرضوا لمواقف إدارة الجيش نجد:

1- **القديس غورديوس (Gordius Saint)** (القرن الثاني الميلادي) والذي كان قائدا للجيش بموريتانيا القيصرية فاعتنق المسيحية وترك خدمة الجيش مما أدى إلى إعدامه[28].

2- **القديس ماكسليميان(saint Maximilien):** ولد بمدينة تبسة(*)خلال القرن الثالث الميلادي وكان يعمل كجندي في صفوف الجيش الروماني بإفريقيا اقتنع بالديانة المسيحية رغم الأوامر الصارمة والانضباطية المعروفة بالجيش الروماني وأمام إصراره على عدم التراجع عنها خضع لمحاكمة في 12 مارس 295م من قبل بروقنصل إفريقيا ديون وأصدر حكم بإعدامه وهو في سن العشرين حينما رفض أداء القسم الخاص بالجيش الروماني لتعارض ذلك مع معتقداته المسيحية التي ترفض تكريس تقديس الإمبراطور[29].

3- **القديس مارسال(Saint Mercel):** كان يعمل جندي في صفوف الجيش الروماني بمدينة طنجة رفض أن يعلن ولائه لعبادة لإمبراطور قائلا "أنا جندي مسيحي" فتعرض للإعدام سنة 295م وسط اتهامات الإدارة الإمبراطورية له ولأمثاله بمحاولة خلق جيش مسيحي داخل الجيش الروماني في الوقت الذي كان فيه الجيش الروماني بأمس الحاجة لجنوده لمجابهة خطر الوندال[30].

4- **القديس تابسوس(Tapasus):**أيضا كان جندي في ضواحي موريتانيا القيصرية أعلن ولائه للديانة المسيحية سنة 298م وأمام أعين الإمبراطور ماكسيميان الذي كان في مهمة تشجيع جنوده قبل أن يصرخ تابسوس في وجهه برفض عبادة الأباطرة مما يدل على الموقف السلبي للمسيحيين ضد الإدارة الامبريالية ويدل صراخ تابسوس في وجه الإمبراطور على درجة كبيرة من الاحتقان الذي تميز به الجنود المسيحيين نتيجة تعرضهم لضغوطات تفرض عليهم التراجع عن قناعاتهم الدينية[31].

5- **القديس فابيوس :Fabus)** كذلك من قدماء المحاربين في الجيش الروماني الذين أعلنوا انضمامهم للديانة المسيحية سنة 304م مما أدى إلى سجنه حتى الموت[32].

خاتمة:

من خلال هذه الدراسة يمكن استخلاص بعض النتائج

- تختلف المصادر حول دخول الديانة المسيحية إلى شمال إفريقيا خلال العصور القديمة، إلا أن الانتشار السريع فيها يدل على دخولها الباكر من بوابة مدينة قرطاج التي كانت حاضرة فكرية تصلها كل الأفكار والعلوم من مختلف أنحاء العالم القديم.
- اعتنق سكان شمال إفريقيا الديانة المسيحية بشكل واسع لاعتقادهم بقدرتها على تخليصهم من الظلم الذي مارسته الإمبراطورية الرومانية ضدهم.
- تلقى المسيحيون خلال القرون الأولى للميلاد في شمال إفريقيا رفضا واضطهادا عنيفا من طرف الإدارة الرومانية ولم تسمح لهم بممارسة شعائرهم إلا بعد إصدار مرسوم ميلان سنة 313م
- كان دخول الديانة المسيحية بالنسبة للجيش الروماني في إفريقيا جريمة تصل عقوبتها لدرجة الإعدام لأن ذلك في نظر الجيش تمردا عن الدولة والقانون،
- رغم المضايقات التي تلقاها عناصر الجيش الروماني من خلال منعهم من دخول الديانة المسيحية إلا أنه نجد من عناصر الجيش ممن تحدى قيادته وأعلن انضمامه لصفوف المسيحيين.

الهوامش

[1] -François Décret, le christianisme en Afrique du nord : les origines, www.clio.fr ,2002,p,01.

[2]- Tertullien, Apologétique, tra, J.P.Waltzing, 2 édit, Librairie Bloud et Gay,Paris, 1914,XXXVII,pp,4-6

[3]- حميدة نشنش،رجال الدين في بلدان المغرب القديم من ظهور المسيحية في نهاية القرن الثاني ميلادي إلى غاية السلام المسيحي سنة 313م من خلال ترتوليانوس و كيبريانوس،مذكرة ماجستير،جامعة الجزائر،ص،ص، 159، 160.

[4]- نفسه، ص،ص، 223، 279.

[5] -Paul Monceaux, Histoire litéraire de l'Afrique Chéritienne depuis les origines jusqu'à l'invaisionArab, Ernest Leroux,Paris,1901, T2,p,3.

[6]- CherlesPietri, Un judéo Christianisme Latin et l' Afrique Chrétienne, Christianarespublica, Publications de l'École française de Rome,1997,p,538.

[7] - Ibid.

[8] - Ibid,p,539.

[9] - Clémentine Gutron, L'archéologie en Tunisie (XIXe-XXe siècles): jeux généalogiques sur l'Antiquité,Karthala, Paris,2006,p,171.

[10] - Robin Daniel ,L'héritage chrétien en Afrique du Nord, Traduit de l'anglais par Julian Brown et Mireille Boissonnat, Editions Tamaris, 2008,p,177.

[11] - أرشمندريت أغناطيوس ديك، الحضور المسيحي في حلب خلال الألفين المنصرمين، ج 1، 2002م،ص،19.

[12] - Robin Daniel ,opcit,p,97.

[13] -Tacite,Les annales,trd, J. L. BURNOUF,Paris, ACHETTE,1859,XV,44.

[14] - الأرشمندريت أغناطيوس ديك، المرجع السابق، ص، 98.

[15] - عمران عبد المجيد، الديانة المسيحية في المغرب القديم-النشأة التطور-(180-430م)، أطروحة دكتوراه، جامعة قسنطينة، 2011، ص، ص، 106، 107.

[16] -Richard John Coombs, The Decline in the North African Church, SOUTH AFRICAN THEOLOGICAL SEMINARY, January 2012.

[17] - يوسابيوس القيصري، تاريخ الكنيسة، تر، مرقص داود، القاهرة،القاهرة الحديثة للطباعة، ط2، 1979م، ص، 326.

[18] - نفسه، ص، 333

[19] - الأنبا ياكوبوس، الاستشهاد المسيحي ومجد الشهداء، مطرانية الزقازيق، ص 45santamaria .egypt org

[20] - نفسه،ص،45

[21] - نفسه،ص،47

[22] -E .D Sainte –Marie, La tunisie Chrétienne , Lyon, bureaux des missions catholiques,1878,p,23

[23] -Pierre Maraval , La religion de Constantin , Anuario de Historia de la Iglesia, vol 22,2013 ,p,20

[24] -SlahSelmi ,Culte impérial et persécution romaine : le cas de l'Afrique,Synergies Tunisie, n° 1,2009,p,217.

[25] ibid.

[26] - Alphonse de Liguori , Les victoires des Martyrs, ou Les vies des Martyrs les pluscélèbres, Avignon,Libraire, 1828, p,07

[27] - أنظر

FerdinandusCabrol, Le troisième siècles Dioclétien, les maryrs, T2,trd,B.P.Dom.H.Leclerco,Farnbourg, potest,p,75

(*) مدينة تبسة كانت مقر لأهم فرقة في الجيش الروماني بإفريقيا وهي الفرقة الأوغسطية الثالثة منذ عهد الامبراطور أوغسطس، ولهذه الفرقة الأوغسطية الثالثة دور كبير في اخماد الثورات والتدخل ضدها في مقاطعات افريقيا البروقنصلية وموريتانيا ، أنظر المرجع، René Cagnat, L'armée Romaine d'Afrique,E. Leroux, Imprimerie nationale, p,429.

[28] - SlahSelmi, opcit, p,216

[29] -Ibid,p,216,217

[30] - Ibid,p,217